﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النّساء: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن أرشد الله تعالى المسلمين إلى ما به أمنهم الدَّاخلي أراد توجيههم إلى ما به أمنهم مع الخارجين عنهم المخالفين لهم في الدِّين، وذلك إمَّا بمعاهدات تطمئنهم على دينهم وأنفسهم ومصالحهم، وإمَّا باتِّقاء شرِّهم بالقوَّة[1]، فاستأنف منتقلًا إلى التَّحريض على الجهاد في إشارة إلى تهيئة غزوة من غزوات المسلمين[2]، والتَفَتَ إلى المُؤْمِنِينَ؛ مُلَذِّذًا لَهم بِحُسْنِ خِطابِهِ، ونادِبًا إلى الجِهادِ مَعَ الإرْشادِ إلى الِاسْتِعْدادِ لَهُ[3]، بالقيام بإحياء دينه وإعلاء دعوته، فعلَّمهم مباشرة الحروب[4]، فأعقب التَّرغيب في الطَّاعات بذكر الجهاد؛ لأنَّه أشقُّ الطَّاعات؛ ولأنَّه أعظم الأمور الَّتي بها يحصل تقوية الدِّين[5].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خُذُواْ﴾: الهمزةُ والخاءُ والذَّالُ: أَصلٌ واحدٌ تَتَفَرَّع منه فروعٌ مُتقاربةٌ في المعنى، والأَصلُ: حَوزُ الشَّيءِ وجَبيُه وجَمعُه[6]، وذلك تارةً بالتَّناول، وتارة بالقهر[7]، والأخذ خلاف العطاء، وهو التَّناول[8]، ومعنى الأمر بالأخذ في الآية الكريمة: احزموا، واستعدُّوا بأنواع الاستعداد[9]، وتيقَّظوا، واحترزوا منَ الأعداء[10].

(1) رضا، تفسير المنار: 5/203.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/117.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 5/323.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 5/273، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/302.
(5) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/137.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخذ).
(7) الرّاغب، المفردات: (أخذ).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (أخذ).
(9) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/77.
(10) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/83، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/200.

2) ﴿حِذْرَكُمْ﴾: الحاءُ والذَّالُ والرَّاءُ: أَصلٌ واحدٌ، وهو مِنَ التَّحَرُّز والتَّيَقُّظ، ورجلٌ حَذِرٌ: مُتَيَقِّظٌ مُتَحَرِّزٌ، والحاذر: المُتَأَهِّب[1]، والحَذَرُ: احتراز من مخيف[2]، وكلُّ مفردات التَّركيب القرآنيَّة هي بمعنى: التَّحرُّز[3]، والحذر في الآية الكريمة: هو الاحتراز عمَّا يُخاف[4]، أو هو: ما يُحذَر به كالحزم والسَّلاح[5]، وفُسِّر بمعنى: أسلحتكم[6].

3) ﴿فَٱنفِرُواْ﴾: النُّون والفاءُ والرَّاءُ أَصلٌ: صحيحٌ يدلُّ على تَجافٍ وتباعُدٍ[7]، والنَّفْرُ: الانزعاج عنِ الشَّيء وإلى الشَّيء، كالفزع إلى الشَّيء وعنِ الشَّيء[8]، والاستنفار: الاستنجاد والاستنصار[9]، والخروج للقتال[10]. ومعنى: انفِروا في الآية الكريمة: اخرجوا مجدِّين مصمِّمين[11].

4) ﴿ثُبَاتٍ﴾: الثُّبات: جمع الثُّبَة، وهي الجماعة المنفردةُ منَ النَّاس[12]، وهي مأخوذة من (ثاب)، أَي: عاد ورجع، والمعنى المحوريُّ له: "تجمُّع المتفرِّق تجمُّعًا جزئيًّا هنا وهنا، أو مرَّة بعد أخرى: كتجمُّع الماء في الحوض مرَّة بعد أخرى، وتجمُّع النَّاس فِرَقًا"[13]، ومعنى قول الله تعالى: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾، فانفروا عُصَبًا إذا دُعيتم إلى السَّرايا، أَو دُعيتم لتنفروا جميعًا، أو جماعاتٍ في تَفرِقة: وكلُّ فِرقة: ثُبَة، أو انفروا في السَّرايا فِرَقًا، أي: فِرقة فِرقة وعُصبة عُصبة منَ الفرسان[14].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يأمرُ اللهُ المؤمنين بالحذر، واتِّقاء أذى الأعداء بالتَّأهُّبِ للِّقاء، والاحتراس ليس

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حذر).
(2) الرَّاغب، المفردات: (حذر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (حذر).
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 5/79.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/83.
(6) الرَّاغب، تفسير الرّاغب: 3/1316.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نفر).
(8) الرَّاغب، المفردات: (نفر).
(9) ابن الأثير، النِّهاية: (نفر).
(10) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (نفر).
(11) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/77.
(12) الرَّاغب، المفردات: (ثبا).
(13) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (ثبو).
(14) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (ثوب - ثيب) وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (ثبو).

بالقعود في الدِّيار، بل بالاستعداد لمواجهة الأعداء في الميدان، والنُّفرة للحرب، جماعةً بعد جماعة، تمرُّ بالثُّغور الَّتي تواجه الأعداء، أو تلاقي من تستطيع لقاءه منهم، أو إذا تكاثف العدوُّ في مكان، وأصبحت لا تكفيه جماعة الجند العامل، فلينفر الجندُ كلُّه، وليتقدَّم للميدان جميعًا[1].

الاستعداد للحرب بالحذر، وبالنَّفرة جماعاتٍ وجمعًا

وترشدُ الآية الكريمة إلى: وجوب المبادرة إلى الخيرات كلِّها كيفما أمكن قبل الفوات، وذلك على مقتضى إطلاق لفظها؛ لكونها نزلَت في الحرب[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بيانُ وجه مناداة المؤمنين:

(يا): حرفٌ وُضِع في أصله لنداء البعيد، وأمَّا نداءُ القريب؛ فبالهمزة، فإذا نُودي به القريب المُفاطن؛ فذلك للتَّأكيد المؤذن بأنَّ الخطاب الَّذي يتلوه معنيٌّ به جدًّا[3]، فينزل لذلك المخاطبُ منزلةَ الغافل تهييجًا وإلهابًا ليتلقَّاه بشَراشِره ومجامعِ قلبه[4].

للتَّأكيد بأنَّ الخطاب الَّذي يتلوه معنيٌّ به جدًّا

نادى اللَّه تعالى عباده بهذا التَّركيب ها هنا وفي غيره من مَواضِع القرآن؛ للدَّلالة على أنَّ ما يتلوه من خطاب خاصٌّ بأوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، وغيره من أمور عظام، وخطوب جسام، ومعانٍ عليهم أن يتيقَّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضَتِ الحال أن ينادَوْا بالآكدِ الأبلغِ، ولذلك كثُر في كتاب اللَّه النِّداء على هذه الطَّريقة ما لم يكثر في غيره[5].

استقلال النِّداء بأوجهٍ مِنَ التَّأكيد، وأسبابٍ مِنَ المبالغة

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1756.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/83.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/89.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 2/282.
(5) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/90.

وجـــه نـــداء المؤمنين أمرُهم بالجهاد، وتهيئة لوازمه

ناداهم تعالى في المَطلَع باسم الإيمان على عادته تعالى؛ إذا أراد أن يأمر المؤمنين بشأنٍ ما، أو ينهاهم عنه[1].

سرُّ وصفهم بالمؤمنين:

فـيـه تـنـشـيـطٌ لهم، وحثٌّ على مراعاة ما يعقُبه منَ الأمر

وصفَهم تعالى بالإيمان إثرَ تَعدادِ ما يوجبه ويقتضيه؛ تنشيطًا لهم، وحثًّا على مراعاة ما يعقُبه منَ الأمر[2]، وإرشادًا لهم إلى التَّحوُّط بأمور الجهاد، وقواعد الحرب.

نكتة تقديم الحذر على النُّفرة:

ابـتـدأ بـالـحـذر للحثِّ على اتِّقاء خـدع الأعـداء، وعـدم الاغـترار بالهدنة

ابتدأ بالأمر بأخذِ الحذر، وهو أكبر قواعد القتال لاتِّقاء خدع الأعداء، والحذر: هو توقِّي المكروه، ومعنى ذلك: ألَّا يغترُّوا بما بينكم وبين العدوِّ من هدنة صلح الحديبيَّة؛ فإنَّ العدوَّ وأنصارَه يتربَّصون بهم الدَّوائر، ومن بينهم منافقون مندسُّون بينكم، هم أعداء في صورة أولياء، وهم الَّذين عنوا بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

قدَّم الحذر؛ لأنَّ النُّفرة غاية له، ومتمِّم

فرَّعَ على أخذ الحذر ما هو الغاية له، والمقصد منه، أو المُتمِّم له، فقال: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾[4].

بلاغة المجاز والاستعارة في التَّعبير بالأخذ:

الحذر لا يؤخذ على الحقيقة، وإنَّـمـا يـصـحُّ الأخـذ عـلى ما يـتـأتَّى إمساكه بالأيدي

قوله: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ استعارة ومجاز؛ لأنَّ الحذر لا يؤخذ على الحقيقة، وإنَّما يصحُّ الأخذ على ما يتأتَّى إمساكه بالأيدي منَ الأجسام، كالأسلحة المتعاطاة والآلات المستعملة، وما يجري مَجْرى ذلك، والمُراد: تمسَّكوا بالحذر، وأديموا استشعاره، كما تتمسَّكون بالشَّيء الَّذي تشتمل عليه أكفُّكم، وتتعلَّق به أناملكم[5].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/302.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/179.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/117 - 118.
(4) رضا، تفسير المنار: 5/206.
(5) الرَّضّي، تلخيص البيان، ص: 52 - 53، والإندونيسي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/244.

وجه الاستعارة التَّعبير عن شدَّة الحذر، وملازمتِه

لفظ ﴿خُذُواْ﴾ استعارة لمعنى شدَّة الحذر وملازمته؛ لأنَّ حقيقة الأخذ تناول الشَّيء الَّذي كان بعيدًا عنك، ولمَّا كان النِّسيان والغفلة يشبهان البُعد والإلقاء كان التَّذكُّر والتَّيقُّظ يشبهان أخذ الشَّيء بعد إلقائه، كقوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف: 199]، وقولهم: "أخذ عليه عهدًا وميثاقًا"[1].

الحذر بمعنى الجزم، استعارة مكنيَّة وتخييليَّة

معنى ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾: تيقَّظوا واستعدُّوا للأعداء، إشارة إلى أنَّ الحذر منَ الجزم، وهو ضبط الرَّجل أمره، ففيه استعارة مكنيَّة وتخييليَّة[2]، حيث شُبِّه التَّيقُّظ والتَّنبُّه بشيء محسوس من شأنه أن يؤخذ، فحذفه، وأسند شيئًا من لوازمه، وهو الأخذ إلى المُشبَّه.

التَّعبير بأخذ الحذر بين الحقيقة والكناية:

الحذر على الحقيقة الحزمُ، وعلى الكناية السِّلاح وآلة الوقاية

يجوز أن يُستفاد معنى التَّيقُّظ والاستعداد من لفظ: ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ على طريق الكناية من أخذ الحذر بمعنى: السِّلاح، ولو بالتَّشبيه بذكر لازم من لوازم التَّيقُّظ فذكَرَ اللَّازم، وأُريد به الملزوم الَّذي هو التَّيقُّظ والاستعداد، هذا على أن يكون المُرَادُ بالحذر: المعنى المصدريَّ، فتعلُّق الأخذ به حينئذٍ يكون على التَّشبيه، ولذا قِيل في تفسيره: كأنَّهم جعلوا الحذرَ الآلةَ، وأمَّا إذا كان المُراد به ما يحذر له، أي: ما يتَّقي به، يكون الحذر اسمًا لا مصدرًا، فالتَّعلُّق حينئذٍ حقيقة لا مجاز مبنيٌّ على التَّشبيه كالأوَّل، فالمُراد به على الثَّاني الحزم، والسِّلاح على الاستعارة بالكناية؛ لأنَّ بهما يُحذرُ، ويُتَّقي، والقرينة ﴿خُذُواْ﴾[3].

علَّة الاحتراز مِنَ المخوِّف:

جعل الحذر آلته الَّتي يقي بها نفسه؛ فاحترز مِنَ المخوِّف

احترز من ذكر المخوِّف، كأنَّه جعل الحذر آلته الَّتي يقي بها نفسه، ويعصم بها روحه، والمعنى: احذروا واحترزوا منَ العدوِّ، ولا تمكِّنوه من أنفسكم، فانفروا إذا نفرتم إلى العدوِّ[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/118.
(2) القونويُّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 7/223.
(3) القونويُّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 7/223، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 3/221.
(4) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/532.

وجه الكناية في ﴿ثُبَاتٍ﴾:

الكناية التَّعبير عنِ السَّرايا

معنى ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرِّقات، فهي كناية عنِ السَّرايا، وهي العصابة مِنَ النَّاس[1]، فهو أمرٌ منه تعالى بالخروج إلى الجهاد جماعةً جماعة، وسَريَّة بعد سَريَّة، أو كتيبة واحدة مجتمعة أدَّى معناها لفظ ﴿جَمِيعًا﴾[2].

حكمةُ الأمر بالخروج للجهاد جماعات، وجمعًا:

إظهارٌ للجُرْأة في السَّرايا، وإيقاعٌ للمهابة في الجَمْع، ومبالغةٌ في التَّحرُّز عنِ الخطر

في قوله: ﴿ثُبَاتٍ﴾، معنى: جماعات متفرِّقين سريَّة بعد سريَّة، وفرقة بعد فرقة؛ وفي ذلك إظهارٌ للجرأة، وقوله: ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾، أي: مجتمعين كلَّكم كوكبة واحدة؛ إيقاعًا للمهابة بتكثير السَّواد، ومبالغة في التَّحرُّز عنِ الخطر[3].

وجه الطِّباق بين ﴿ثُبَاتٍ﴾ و﴿جَمِيعًا﴾:

الطِّباق بين اللَّفظين قوَّى دلالة التَّخيير

بين لفظي: ﴿ثُبَاتٍ﴾ و﴿جَمِيعًا﴾ طباقٌ[4] إيجابٍ في الجَمْع بين الشَّيء وضدِّه تصوير لحالة التَّخيير في النُّفرة بين أن يكونوا عصَبًا متفرِّقين، وبين أن يكونوا جمعًا متَّحدين.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/77، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 5/274.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/302.
(3) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 3/221.
(4) الإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/244.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»